

الحلقة الخمسون

سلسلة رمز وحقيقة

أنوار كاشفة

سفر النبي حبقوق

صديقي المستمع، مازلنا ندرس أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس. وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات ، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن، وعن المسيح المخلص الآتي.

وكنا قد درسنا في اللقاء السابق سفر النبي ميخا. فتأملنا بنبوءته أن الملك المخلص المسيح سيولد في بلدة بيت لحم. وأخبرتنا هذه النبوءة أيضا عن شخصية المسيح الأزلية، إذ أن مخرجه منذ القديم منذ أيام الأزل. وتتبأ النبي ميخا عن خلاص الله الذي سيُعلن إلى جميع الشعوب ، من خلال المخلص المسيح. وعن رحمة الله ومغفرته للذنوب ، وكيف سيطرح في أعماق البحر جميع خطايانا.

ننتقل اليوم مستمعي إلى سفر آخر من أسفار الأنبياء ، ألا وهو سفر النبي حبقوق. وحبقوق إسم عبري معناه يعانق ، أو ربما هو إسم نبات حديقة. تتبأ حبقوق قرب نهاية مملكة يهوذا الجنوبية وإلى ما بعد سبي بابل. أي ما بين عام ٦١٢ ستمئة وإثنا عشر وعام ٥٨٩ خمسمئة وتسعة وثمانين قبل الميلاد. وبسبب الفترة الزمنية المضطربة التي عاش فيها النبي حبقوق، فلقد إمتلأ سفره بالتساؤلات والشكاوى التي وجهها نحو الله. ولقد سمع النبي حبقوق إجابة الله على تساؤلاته وفرح، وازداد فهمه لقدرة الله ومحبته. ولهذا ختم سفره بصلاة ، عبر فيها عن ثقته الكاملة بالله وبأمانته ، بالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمر حينذاك.

بدأ النبي حبقوق سفره بالتساؤل لماذا لا يعاقب الله الأشرار في مملكة يهوذا عن إثمهم. وكيف يسمح الله العادل للشر والظلم، بأن يتواجدا ويستفحلا. كتب حبقوق متسائلا: " حتى متى يارب أدعو وأنت لا تسمع ، أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلص. لم تريني إثما وتبصر جورا. وقدامي إغتصاب وظلم ، ويحدث خصام وترفع المخاصمة نفسها." (حبقوق ١: ٣ و٢) أليس هذا هو تساؤل الكثيرين حتى في أيامنا هذه؟ فكثيرا ما نوجه تساؤلاتنا لأبل إحتجاجاتنا ضد الله، مستغربين إنتصار الأشرار من حولنا وإزدهارهم، وعدم تدخل الله لنجدتنا عندما تحل بنا المآسي والنكبات. والأدهى من ذلك أننا نرى هؤلاء الأشرار ، وقد إستطاعوا التحكم بالقضاء لصالحهم. القضاء المفروض أن يكون نزيها وعادلا.

وهو ما عبّر عنه النبي حبقوق، عندما تابع شكواه قائلا: " لذلك جمدت الشريعة ولا يخرج الحكم بته ، لأن الشرير يحيط بالصديق ، فلذلك يخرج الحكم معوجا." (حبقوق ١: ٤) أليس هذا ما يحصل أيضا في أحيان كثيرة؟ وكأن القضاء العادل قد فقد نزاهته.

أجاب الله النبي حبقوق عن هذه التساؤلات ، بأن أبلغه لكي يتنبأ ، أنه سيرسل البابليين الوثنيين لتأديب الشعب على شره. وهنا عاد النبي حبقوق لي طرح جملة ثانية من التساؤلات. وهي كيف يسمح الله لشعب وثنى شرير ، بعيد عنه بالكلية ، أن يعاقب الشعب المعترف شعبه في تلك الأيام؟ فأكد له الله ، أن هدفه هو تأديب شعبه بواسطة البابليين ، لكي يعود ويرجع إليه. لكن الله سيعود ويعاقب البابليين أيضا على شرهم. فالبابليون ما هم إلا أداة في يده ، ولا بد أن يعاقبهم في الوقت المناسب. أي أكد الله للنبي حبقوق أنه مازال يتحكم في الكون، وهو سيدين كل عاملي الشر في وقته .

لعل مشكلة الإنسان في كل زمان ومكان مستمعي ، أنه لا يستطيع أن ينظر إلى نتائج الأمور في المستقبل فهو يرى الشر مستفحل ، وكأنه صاحب اليد العليا في العالم ، فيشعر بالإحباط والغضب كما شعر النبي حبقوق. لكن الله يؤكد لنا ، كما أكد للنبي حبقوق أن لا نياس، وأن نتق به الثقة الكاملة ، فهو الإله المسيطر الذي لا بد أن يعاقب الشر. فعلينا أن نتق بالله ، حتى وإن كنا لا نفهم ما يجري حولنا ، وما نمر به من ظروف قاسية.

ويدعونا الله أيضا للصبر والانتظار ، كما دعا النبي حبقوق قائلا له: " لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي النهاية تتكلم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتيانا ولا تتأخر." (حبقوق ٢:٣) ليس الصبر والانتظار من الأمور السهلة. لكنه يكشف عن مدى ثقنا بالله، واعتمادنا عليه إثناء المحن واستفحال الشر من حولنا. وعندها نتأكد، كما تأكد النبي حبقوق أن الله لا بد أن يُجري مشيئته عاجلا أم آجلا. ولا بد أن يرافق الصبر والانتظار أمر هام آخر ألا وهو الإيمان. ولهذا قال الله لحبقوق هذه الآية البليغة: " والبار بإيمانه يحيا." (حبقوق ٢:٤) أي أن البار الذي هو المؤمن الحقيقي، يحيا أو يعيش على أساس الإيمان. الإيمان أن الله مسيطر على كوننا هذا، وأنه يوجه كل الأمور وفق مشيئته وقصده. بالرغم من أننا وخاصة في فترة الأزمات، لا نرى النتائج، ولا نلمس يد الله وراء كل ما يحصل معنا.

لكن هذه الآية: " والبار بإيمانه يحيا." تحمل حقيقة روحية هامة، ولهذا اقتبسها الرسول بولس في رسائله ، لكي يشرح حقيقة التبرير بالإيمان. واقتبسها أيضا كاتب الرسالة إلى العبرانيين. أجل، إننا بحاجة إلى الإيمان بالله ليس في وقت الظروف القاسية والمحن فحسب. بل إننا بحاجة إلى الإيمان، لكي نتقرب من الله، ونحظى برضاه، ونتحرر بالتالي من عبودية الخطية، وننال الغفران والخلاص. وبتعبير آخر إننا بحاجة إلى الإيمان، لكي نتبرر أمام الله، أي نصبح أبرارا. فكيف بإمكاننا أن نصبح أبرارا عن طريق الإيمان؟ هذا هو السؤال الهام الذي يجب أن نهتم به كبشر خطاة.

لقد شرح لنا الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل ، كيف نتبرر أمام الله عن طريق الإيمان. والخطوة الأولى تكون بأن نصدق الله، ونؤمن بما عمله لأجل خلاصنا، ونتق بمواعيده لنا. ولهذا امتدح الله إيمان إبراهيم خليل الله ، أبي المؤمنين ، لأنه آمن

بالله وصدّق مواعيده ووثق به. فكُتِبَ عنه: " آمن إبراهيم بالله فحُسِبَ له برا." (رومية ٤:٣) أي نال إبراهيم البر عن طريق الإيمان. وكان الإيمان هو الأساس الذي إرتكز عليه الأنبياء وأولاد الله على مدى العصور والأجيال. فالإيمان هو الخطوة الأولى التي يبدأ منها الإنسان علاقته مع الله. إذ كما هو مكتوب أيضا أنه بدون الإيمان لا يمكن إرضاء الله.

أجل، إن الله يمتدح كل من يؤمن به ويثق ، ويهبه البر ولهذا أنشد النبي داود قديما في سفر المزامير قائلا: " طوبى للذي غُفِرَ إثمُه وسُتِرَتِ خطيئته. طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطيئة ولا في روحه غش". (مزمور ٣٢:٣ و٢) لعل السؤال الآن: ما هو موضوع الإيمان المطلوب منّا في هذه الأيام؟ وهل مجرد الإيمان بالله ووجوده وبالأنبياء والكتب المقدسة، يجعل الله يرضى عنّا ونصبح أبرارا أمامه؟

أجابنا الرسول بولس عن هذه التساؤلات الهامة، بأن كشف لنا موضوع الإيمان، بالنسبة للبشر جميعا في كل زمان ومكان. إذ كتب في رسالته إلى المؤمنين في مدينة رومية قائلا: " وأما الآن فقد ظهر برّ الله بدون الناموس مشهودا له من الناموس والأنبياء. بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لا فرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله." (رومية ٣:٢١-٢٥)

يتضح لنا من هذه الآيات المقدسة أن الله يغفر خطايانا ويهبنا برّه ، فقط إذا آمنّا ووثقنا بموت المسيح الكفاري من أجلنا على الصليب. إذ عندها يرانا الله من خلال المخلص المسيح البار. وبتعبير آخر إن أعمالنا الصالحة ، والفرائض الدينية التي نقوم بها ، لا تستطيع أن تبررنا أمام الله. لأننا بشر خطاة ، وبحاجة إلى من يطهرنا من خطايانا أولا. وهذا يتم عن طريق الإيمان بفداء المسيح.

نعم، كما قال النبي حبقوق إن البار بإيمانه يحيا. أي أن الإنسان بإيمانه بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجله ، يتبرر أمام الله وينال الخلاص الأبدي. فهل تؤمن صديقي من كل القلب، فتصبح بارا أمام الله؟ وعندها تستطيع أن تتشدد مع النبي حبقوق، بالرغم من كل الظروف المحيطة بك قائلا: " إني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي." (حبقوق ٣:١٨)